التعاطف في شعر البياتي

أ.د بدران عبدالحسين البياتي

جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

لا يخرج مفهوم ألتعاطف عن دائرة ألعاطفة بوصفه إنفعالات وجدانية لها إنعكاساتها ألنفسية والإجتماعية واسهاماتها الوظيفية والتأثيرية في جمهور التلقي ، ولما كانت العاطفة إحدى مرتكزات البناء الفني للعمل الادبي فأن التعاطف يتخذ مساحة واسعة من ذلك المرتكز من خلال علاقته بفهم الاخر وفهم حالته النفسية وظروفه الاجتماعية التي استدعت الشفقة عليه الى الدرجة التي تصل بها الأنا الشاعرة الى تقمص تلك الشخصية والتماهي بها ، هذا وفضلا عن ذلك فأن التعاطف يسهم اسهاما فعالا في تطهير الذات الانسانية من خلال تعاطفها وشفقتها على الاخرين ، اما أشكال التعاطف فقد تكون فردية او جماعية وذلك يتوقف على طبيعة المواقف التي تستدعي التعاطف ، وتتحكم في ذلك عوامل كثيرة منها طبيعة الاحداث والزمان والمكان وحالات الإستلاب والإغتراب وغيرها ، ولما كان الشاعر عبدالوهاب البياتي من شعراء الالتزام الوطني والشعبي والانساني فانه قد استطاع ان يشكل من التعاطف صورا عكست الواقع الانساني على المستوى الفردي و المجتمعي في صياغة فنية تظهر فيها العاطفة بشكل جلي يوضح مدى تعاطف الذات الشاعرة مع القضايا الانسانية المختلفة وبما يعزز دور الادب في بناء المجتمع ومقدرته التأثيرية في التقدم والتغيير . والبحث محاولة للكشف عن مفهوم التعاطف واشكاله وانعكاساته النفسية والاجتماعية انطلاقا من شعر البياتي ورؤيته الايدلوجية والفنية للعالم والانسان .تشكل العاطفه ركناً اساسياً في البناء الفني للنصوص لاسيما وان معظم النصوص الابداعيه تكتب في ظل الانفعال وعوامل التاثير بحدث معين او حالة نفسية او اجتماعية تؤجج الانفعالات العاطفيه فينتج عن ذلك العطف او التعاطف او الاستعطاف والتعاطف وهو موضوع البحث كونه يشكل ركنا اساسيا من نتاج العاطفة ، ولا تكاد تخلو منه النصوص الابداعية على اختلاف اغراضها ومقصدياتها ، ولما في التعاطف من تاثير على ذات المتلقي ودعوته الى المشاركة والتفاعل مع الفكرة التي يبغي المنتج ايصالها اليه ، فضلا عما يحمله التعاطف من تدفق انفعالي يجعل النصوص ذات ابعاد وظيفية متعددة وواقع تاثيري متعدد الدلالة وواسع في افق

التصوير ولا يخفى على احد من القراء التوجه الاجتماعي والثوري الذي اتصف به شعر عبدالوهاب البياتي وهذا ما يستدعي الارتكاز على مناهل تسهم في تغذية النصوص والموضوعات الزاخره بوصف الحالات والصور الفردية والاجتماعيه ، ولعل من ابرز تلك الموضوعات والمسائل هو التعاطف الذي وجدت من خلال اطلاعي على الشعر بعامة وشعر عبدالوهاب البياتي بخاصة انه ظاهرة بارزة تستحق الوقوف عندها وتسليط الضوء على جوانبها المختلفه ، تتكامل النصوص مع الدراسات والبحوث التي تحاول تبيان ما تحتويه من ابداع سواء على مستوى الدلالة ومستويات التصوير وما تحمله من افكار فلسفية وانفعالات عاطفية تنسجم مع الايقاع النفسي للذات الانسانية .

ولقد وجدت ان التعاطف في شعر البياتي ياتي فردياً وجماعياً ذاتياً وموضوعياً ، سلبياً وايجابياً ، وهذا ما سنحاول توضيحه في صفحات البحث تنظيراً وتطبيقاً من خلال عرض يغطى النصوص التي تتلائم وتنسجم مع موضوع التعاطف وتبرز دوره في البناء الفني عند عبدالوهاب البياتي وعلى مستويات ذلك البناء كافة ومن الله التوفيق.

مفهوم التعاطف

لا يخرج مفهوم التعاطف عن دائرة العاطفة بوصفها انفعالات وجدانية لها انعكاساتها النفسية والاجتماعية واسهاماتها الوظيفية والتاثيرية في جمهور المتلقي وبالرجوع الى جذر التعاطف نجد ان الفعل عطف الذي يعني الميلان والشفقة ،الاساس الذي تشتق منه الالفاظ الخاصة بالعطف فعطف يعطف: مال وعطف عليه اشفق وتعطف عليه: وصله وبره

وعطفت عليه: اشفقعت يتعاطف في مشيه يتهادى ويتمايل، والعاطف: الرحيم ، ورجل عاطف وعطوف عائد بفضله حسن الخلق وعطف على المسكين اشفق وحن عليه(1) وبذلك فان العطف يعني الرقة والحنان والشفقة ، اما الاستعطاف فهو طلب العطف بتوسل وتذلل اما التعاطف فيعني الشفقة والحنان بين اثنين او بين الاهل او الاصدقاء وتعاطف الاخوة - تعاضدو- وحينما ننتقل الى دائرة مصطلح العاطفة حاملين معها دلالاتها اللغوية نجد ان ثلاثة مصطلحات رئيسية تنبثق منها وتتمحور حولها في التشكيل وتسلك طرق متنوعة في الدلالة . ويخضع هذا التنوع لقانون التجاور والتكامل وما ينتج عنها من تصوير العاطفة وانفعالاتها الوجدانية وانعكاساتها الفردية والإجتماعية واسهامها في البناء التاثيري والوظيفي للنتاج الفني، وبارجوع الى كلمة عطف التي وجدنا انها تعني الميل والحنان والشفقة نصل الى ان

العطف يعني الشفقة على الاخر على مستوى القول والفعل فالعاطف من يشفق على المعطوف ويساعده على تجاوز الحالة التي تستدعي العطف دون الاكتفاء بالمشاركة الوجدانية والحالة التاثيرية التي تنتاب الشخص العاطف بينما يقف التعاطف عند المشاركة الوجدانية على مستوى القول والتاثر دون الفعل المباشر او القدرة على المساعدة المباشرة في تجاوز المشكلة او المحنة التي يمر بها مستقبل التعاطف وحينها ينتقل الفعل النابع من التاثر التعاطفي الى مشاركة فعلية تسعى الى تغير الحالة اوالواقع .اذ يتحول التعاطف من الواقع التاثري الى الواقع الثوري التشاركي الذي يسعى الى التغير وازالة المشاكل او المحن التي يمر بها الفرد او المجتمع الممتحن ، وبذلك تنتقل المشاركة والانفعالات الوجدانية المصاحبة لها من حالة التعاطف الى حالة العطف والمشاركة الفعلية مع المعطوف وحالة المشاركة هذه اذا كانت نابعه من دواعي القوة و السيطرة والاندفاع العنفواني فانها عطف ايجابي يسهم في المساعدة على دفع الضرر الذي يجثم على صدر طالب العطف وتخفف او تزيل الضغط السلبي الذي يستدعي المساعدة او المشاركة اوالتعاطف معها. اما اذا اعتمد طالب العطف على الرجاء بتدلل او توسل او تمني من اجل طلب حاجة او تجاوز حالة يمر بها ذاتيا او يمر بها غيره من طلاب المشاركة او المساعدة فتلك حالة تطلق عليها حالة الاستعطاف ، اي طلب التعاطف الحنو والاشفاق ، وبذلك فان العطف والتعاطف والاستعطاف وان كانت مشتركة في الدوال الا انها متفرعة في الانساق الدلالية للمدلولات ويفضي كل مدلول الى اتجاه عاطفي منفصل في الوظيفة وفي الاستجابة ومتباين في وحدة التاثير من حيث علو القول على الفعل وهذا ما يحدث في التعاطف او في توازي القول مع الفعل وهو ما يحدث في حالة العطف ، او في رجحان الفعل على القول وذلك ما يناسب الاستعطاف وطالما ان موضوع بحثنا يقتصر على حالة التعاطف فيمكننا القول انه التعاطف احد فروع العاطفة وهو بذلك احد مرتكزات البناء الفني للعمل الادبي بل ويتخذ مساحة واسعة من ذلك المرتكز ومن خلال ما سبق نتوصل الى ان التعاطف هو مشاركة وجدانية ناتجة عن ردة فعل تاثير ذاتي او خارجي والسعي لتخفيف الطاقات السلبية و تعزيز الطاقات الايجابية للذات او للاخر وحشد الطاقات الجماعية لتعزيز تلك المشاركة وتحقيق اهدافها ومقاصدها. اما من حيث شدة التعاطف فأن شدته ترتبط بقوة العاطفة التي ينبع منها وقوة العاطفة تقاس بعاملين اساسيين اولهما مدى قدرتها على تحريك مشاعر المتلقين واستجابتهم للنص الشعري وتفاعلهم معه ومدى ميلهم للتعاطف الذي يجعلهم مشاركين للمنتج في عاطفته وبذلك " يستطيع الاديب ان ينقلنا من جو عاطفي نحن فيه الى جو اخر اراده لنا يكن قوي العاطفة فأذا كان لناميل فقوى ميلنا او خلق فينا ميلا جديدا واذا كان احدنا حازما فضعضعه او مضعضعا فحزم رغباتيه وثبته كان

ذا عاطفة قوية مهيجة (2)" واما العامل الثاني فهو استمرارية تأثير التعاطف الى اطول مدة ممكنة دون التأثير الكبير بتقادم الزمن ومرور الايام لان " العاطفة تقاس بأستمراراها وثباتها ولذلك معنيان الاول بقاء اثرها في نفوس السامعين زمنا طويلا(3) فتكون كالقطعة الموسيقية يسمعها السامع ثم لاتزال ترن في اذنه بعض الانغام وتتكرر امدا بعيدا وكذلك الشأن في الادب فبعض القطع الادبية يؤثر تأثيرا وقتيا والاخر يبقى في الذاكرة طويلا ومن هنا فأن التعاطف متى ما اتسم بالاستمرارية وقوة التأثير كان للنص الذي يحتويه صفة البقاء والخلود

اتجاهات التعاطف

يتخذ التعاطف اتجاهات متعددة فقد يكون فرديا وقد يكون جماعيا بل وقد يتعدى ذلك الى الطبيعة وما يحل بها من احداث سواء بفعل الجدلية الزمانية او الصراع الجدلي بين الخير والشر ، وانعكاس ذلك على الحياة بما تحتويه من اجناس بشرية او معالم شاخصة ، وكل هذه الامور عوامل مؤثرة على المنتج ووجهة نظره التي تجعله محللا للمواقف ومحفزا للاستجابة لها وتتناسب حدة التعاطف طرديا مع قوة تاثير الاحداث التي تقع على فرد معين مسلوب او مجتمع منكوب او مكانة حطمته العواصف والرعود . في ضوء ذلك يمكن تحديد اتجاهات التعاطف من حيث توظيفه في بناء النص الشعري وعوامل التاثير . الى طرق متعددة و متنوعة.

وتكشف لنا قراءة شعر البياتي ان التعاطف فيه يتخذ اتجاهات متعددة ، تتوزع بين الانا و الاخر . ولكل اتجاه صور تكشف عن تجارب الشاعر وعن خلجات النفس العميقة وعن العلاقة التفاعلية مع الاخر وصولا الى تحديد الموقف العام اتجاه المجتمع ، وفي ضوء ذلك فان اتجاهات التعاطف يمكن تحديدها على وفق ما يأتي -:

التعاطف مع الذات

تبقى الذات الانسانية جبلا غائصا من الارهاصات والصراعات الداخلية وحالات التشتت والضياع كما ولا تخلو من حالات الافراد والانبهاج في التميز من المواقف الايجابية التي تنسجم وتتفاعل مع وعي الذات وتمنياتها التي تسعى الى تحقيقها او العيش في ظلالها وبالتالي فان الكثي من المواقف ينعكس على الذات ويجعلها في فضاء ايجابي بهيج يستدعي الاستمرارية والتالف او فضاء سلبي كئيب يستدعي التعاطف ، وحينما يضغط الفضاء السلبي على الذات فانها تسعى للتخلص من هذا الواقع او التخفيف من ضغوطاته ووطاة اثقاله ، وكما كان سلاح الشاعر هو الشعر

وادواته فانه لا بد ان تستعين الذات بالذات الشاعرة (بوصفها الذات الحاضرة في التجربة والفاعلة فيها بينما الاولى ذات الشاعرة هي حقيقته وهويته الشخصية)(4)

وبذلك فان الشاعر وعن طريق الذات يسعى الى التخفيف عن الضغوطات الخارجية والداخلية عبر التصوير المؤدي الى اثارة التعاطف عند الملتقى سعيا الى المشاركة الجماعية التي تخفف من ثقل المعاناة وتستجيب للمواقف التي ترفع من معنويات الذات الشاعرة عبر استقبال الالفاظ التي تبثها تلك الذات من خلال قنوات النص المرسل وتسعى من خلال التعاطف معها التخفيف من شدة التوترو ايقاف دينامية الحزن والمعاناة ونرى التعاطف واضحا في قول البياتي وهو يسعى الى التخفيف من محنته في قصيدتة الموت في المنفى

صوتُ اطفالي نصال

نفذت في القلب قالت لي تعال

وانا اختنقُ الليلةَ في ذل السؤال

اين من يُسكتُ صيحات (تعال)

ملاتْ صدري انيناً وسعال

ورقادي بالظلال

تتراكم الدوال (صوت الاطفال ،النصال ، تعال ، ذل السؤال ، سعال)

وتفضي الى مدلولات صارخة مشحونة بالغضب والاحساس بالمأساة واصوات الاطفال في تأثيرها وحدة عواطفها تصبح نصالاً نافذة في قلب الاب لما تحمله من شوق وحالة من الاستغاثة والانكسار ويشتد الالم ويتضاعف حين يعجز الاب عن تلبية الطلب والعودة اليهم وتضميد جروحهم ، ولم يبقَ لديه شئ سوى توجيه صوته الى كل من يسمعه لعله يتعاطف معه ويعينه على تجاوز محنته التي القته في دائرة ذل السؤال والسعال والرقاد بالظلال ، وتستمر القصيدة في تصاعد المشهد بشكل درامي مؤثر

القاديلُ بصدري انطفأت اين الضياء

افتحو الابواب للنور افتحوها

اصدقائي الفقراء

اصدقائي الشعراء

فأنا احترقُ الليلة كالشمعة في صمت البكاء.(5)

نعم انه الوصول الى اعلى درجات اليأس والتشاؤم حيث لا ضياء بعد ان انطفأت القناديل وغلقّت ابواب النور ولم يبق الا الاستغاثة بقلوب الفقراء والشعراء لانها تحمل عاطفة تغيب عن قلوب الاثرياء وذوي المصالح الشخصية الذين يفتقدون للتعاطف ويفتقدون للضمير الانساني الحي ولم تتمثل امام الانا الشاعرة الا صورة الفقراء الذين يشاركون تلك الانا معانتها في الجوع والحرمان وصورة الشعراء الذين يتعاطفون مع الشاعر في تأجج العاطفة والاحساس العميق والمشاعر الجياشة التي تعينهم على المشاركة الوجدانيةوالانفعالية فتكون استجابتهم للتعاطف متقدة وتفاعلهم قائم على قوة الانجذاب والتظاهر والانسجام ، وبهذه الصور المنسجمة مع الخط التصاعدي للحدث يرسم لنا الشاعر صورة للتعاطف الذاتي اذ تكون الانا الشاعرة هي البؤرة التي يتجه اليها التعاطف وتسير في مداراتها الانسانية المتعاطفة مع الذات الشاعرة والمتفاعلة معها فضلا عما يحمله ذلك التفاعل من توتر وبناء درامي متكامل

التعاطف والقناع

لا يقف التعاطف الذاتي عن الذات وما ترفد به الذات الشاعرة من عواطف وارهاصات وخزين متراكم من احداث السيرة التي عاشتها الانسانية ولا يستطيع الشاعر ان يتحدث عن كل ما يدور في ذهنه بشكل واضح وصريح ، لاسباب عديدة لعل من ابرزها فكرة المعارضة لبعض افكار المجتمع او للنظام السياسي الذي يتولى زمام الامور في البلاد ، فضلا عن شعور المنتج بوجوه التشابه بينه وبين الكثير من الشخصيات فينجذب اليها ويتماهى معها ويتخذها قناعاً يتحدث من خلاله عن افكاره واحاسيسه بصوت شخصية تُخفي صوت الشاعر وتبرز على سطح الظهور.ونظراً لنجاح هذه الظاهرة نجد ان القناع قد شاع في الشعر الحديث لاسيما عن الشعراء الرواد للشعر الحر بوصفه تقانةِ تتمثل في تفحص شخصية تاريخية او معاصرة والتماهي معها ومن خلالها يعبر الشاعر عن افكاره بشكل موضوعي مغلف بغلاف الذاتية ، وفيها يتحد الانا مع الاخر فيصبح صوت الشخصية المقنعة هو الصوت المعبر عن صوت الذات المتخفي تحت ردائها . ويتضح التقمص جلياً قي قصيدة القناع وذلك لان الشاعر يحاول ايصال افكاره واثراء نصوصه من خلال اتحاده مع الشخوص او الرموز التي يختارها ويجد فيها انسجاماً مع الذات الى درجة الانصهار والتماهي والاحساس المشترك" وعندها سيكون شخصا القصيدة الشاعر وقناعة شيئا

واحداً"(6) وفي هذا المجال يكون الشاعر ذاتياً وموضوعياً في ان معا ، فهو ذاتي لانه يعبر عن احاسيسه وافكاره من خلال تلبسه بالقناع والاختفاء تحت ستاره وهو موضوعي لانه يلقي بنتاجه التعبيري على شخصيات اخرى تتحدث بالنيابة عنه ، فتتحد بذلك النزعة الغنائية والذاتية مع النزعة الدرامية والموضوعية ويتجلى القناع في شدة التماهي بين الانا الشاعرة وشخصية القناع في قصيدة عذاب الحلاج. والتي شكلت بنية درامية متكاملة اسهمت في مشاهد متعددة تتصاعد احداثها دراميا وصولا الى مشهد الصلب والمرحلة المأساوية التي يصل اليها البطل من خلال التماهي معها والاحتفاء في ثناياها والتي اتخذتها الانا الشاعرة وسيلة للتعبير المقصود عما يدور في ذاتها من افكار ومواقف ، ونختار من ذلك مشهد المحاكمة من قصيدة عذاب الحلاج :-

وضجَّ في خرائب المدينةِ
الفقراء إخوتي
يبكون، فاستيقظتُ مذعورًا على وقع خطا الزمان
ولم أجد إلا شهود الزور والسلطان
حولي يحومون، وحولي يرقصون: إنها وليمة الشيطان
بين الذئاب، ها أنا عريان
قَتَلْتَني
هجرتني
نسيتني
حكمتَ بالموتِ عليَّ قبل ألف عامْ
وها أنا أنام
منتظرًا فجر خلاصي، ساعة الإعدام(7)

ويتضح من خلال هذا المقطع الشعري ان الانا الشاعرة لدى البياتي تتعاطف مع ذاتها وتتحدث عنها وهي التي تحمل هموم الفقراء ومعاناتهم وبما ينسجم مع الفكر الايدلوجي للشاعر ومدى تأثره بالفكر الماركسي القائم على مناصرة الطبقات الكادحة ومحاولة انتشالهم من ظلم الرأسمالية واستغلالها ، وما يحدث لهم من قمع وقتل اذاما طالبوا يوما بحقوقهم ، وذلك ما يجد محفزاً للانا الشاعرة للتعاطف معهم من جهة والتعاطف مع الذات المتعاطفة معهم اصلا والتي لاتستطيع انقاذهم من ذلك الجحيم وينتقل ذلك التعاطف الى شخصية تاريخية حملت عقيدة التصوف ، والزهد في الحياة وقائمة بفكرة الحلول سبيلا الى الاتجار مع الذات الالهية والسمو عن الرذائل التي يقوم بها البشر على الارض ، والتضحية من اجل الفقراء والزهاد وصولا الى تحقيق المساواة والعدل الالهي المقدس ، وهنا تلتقي الانا الشاعرة مع تلك الشخصية

وتتماهى معها بفيض من التعاطف الانساني الذي يصل الى الاحساس المشترك والمشاركة في تحمل الالام الجسام من اجل تحقيق الهدف المنشود

التعاطف والاخر

يمثل الاخر الوجه المقابل للذات والقطب الثاني لثنائية الانا والمكمل للوجود الانساني القائم على هذه الثنائية سواء على مستوى التناظر و التظاهر او مستوى التكامل واحيانا على مستوى التناقض والتصادم ، وبذلك فان دينامية الحياة واحداثها قائمة على هذين القطبين وبدونهما لاوجود للحياة ولاحركة تفاعلية لاحداثها اطرها الفلسفية والعلمية والعملية وعليه " لاذات بلا اخر ولا اخر بلا ذات ، ولاذات بلا تأثير وتأثير والتأثير هنا نوع من الشرارة تسطع عند الاخر وتوجه الذات الى مزيد من معرفة نفسها مزيد من اكتشاف ما في اعماقها من الضوء الكامن(8) " فضلا عما يشكله الاخر من ادوار مختلفة في مسيرة الحياة سواء الاجتماعية او الاقتصادية او الثقافية وغيرها كثير وكل ما يحدث للاخر ينعكس بشكل مباشر او غير مباشر على الذات وبنسب متفاوتة تتناسب مع التقارب الحاصل بين الانا والاخر وعوامل التأثر والتأثير بينهما ولا تقف دائرة الاخر عند حدود معينة وانما تتسع مداراتها على وفق الادوار وعوامل التأثير على الانا الشاعرة ابتداء من الفرد وانتهاء بالعالم وما يضمه من اجناس وشعوب ولا نكاد نجد مدارا من مدارات دائرة الاخر الا وله مساحة في شعر البياتي وتعاطفه معه ويمكن الوقوف عندها ببعض التفصيل على وفق تتابع المدارات واتساعها

(أ) التعاطف الفردي

ونعني به الاستجابة والشفقة مع شخص واحد والتأثر بحالته وما تحدثه من انفعالات وجدانية داخل الذات الشاعرة تستدعي التعاضد والتعاطف والاسباب في ذلك كثيرة لعل من ابرزها الشعور والاحساس المشترك بين الذات الشاعرة والاخر وانعكاس ما يقع على الذوات المختلفة من صعوبة في الحياة وازدراء الحال او سوءالاقدار وما ينتج عن ذلك من خطوط تصادمية مع مسيرة الحياة وقلة الانسجام بين القوى المتصادمة وانعكاساتها التي تحفز العامل التأثري والعاطفي للذات الشاعرة ويعضد الاستجابة والتعاطف على مستوى الفعل او النتاج الذي تحاول الانا الشاعرة من خلاله التخفيف من شدة التأثر وحدة التعاطف وبذلك يكون التعبير اللفظي وانتقاء الالفاظ المؤثرة والتصوير الجمالي خير وسيلة لايصال الفكرة الناتجة عن الاحاسيس والشعور المتفجر بالعواطف والسعي الى تصوير حالة الاخر بشكل يثير التفاعل والانفعال لدى اكبر عدد من جمهور التلقي وكسب ذلك الجمهور الى الدائرة التأثيرية التي تتسع كلما كان النص الشعري يحمل مقومات التأثير ودقة التصوير

والتعاطف الفردي يميل الى المشاركة الوجدانية مع شخصية واحدة يحددها منتج النص ويحاول ان يلفت نظر المتلقي اتجاها ايجابيا من خلال اضفاء معاني التضحية والمعاناة في تصويرها واظهار معالم الالم بأشكاله المختلفة عليها وهذا ما يجعل المتلقي يتعاطف معها ويتأثر في الاحداث التي واجهتها على وفق نظرية التطهير التي قال بها ارسطو فالمتلقي في تعاطفه مع الشخصية المضطهدة يستفيد في ناحيتين الاولى ان دائرة التعاطف والمبادئ الانسانية تتسع وتكبر والثانية ان النزعات الشريرة التي قد تحيط ببعض النفوس البشرية ستضعف امام حوافز قوى الخير ونشر الفضائل ومحاربة الظلم والجور وتتعدد الشخصيات وتتنوع في شعر البياتي (فمن بينها ايزيس واخناتون وعشتار والاسكندر وسيزيف وبروميوس وادونيس بينما قدمت الحضارة العربية الاسلامية في تصور البياتي الحلاج والمعري وعائشة والخيام والمتنبي وديك الجن وغيرهم)(9) والبياتي حينما يذكر هذه الاسماء يجعل منها بؤرة تنبثق منها انساق النص وترسم منها صورا مختلفة في الشكل والتصوير ابتداءا من الصورة المفردة وانتهاءا بالصور العنقودية التي تتضافر لتشكيل تصوير اوسع واعمق والمتتبع لشعر البياتي يرى ان الشخص المتعاطف معه لا يخرج عن دائرة المعذب او السجين او المتمرد او المنفي او المفجوع بالفقد او المحكوم بالاعدام سواء في ايطار الزمن الحاضر او الماضي استرجاعا او المستقبل استباقا وبذلك يعطي البياتي في مناصرته لهؤلاء الافراد والتعاطف معهم موقفا يؤكد من خلاله على ضرورة ان يقف الشاعر موقفا انسانيا ويحمل رسالة تظهر أهمية الأدب في الإطار الإنساني والمجتمعي وسعيه الى التغيير نحو الافضل يقول في قصيدته الاسود العينين

ذاك الرفيق الأسود العينين ساهد

نزعو أظافره وظل طوال الليل صامد

ضربوه حتى الموت

لم ينبس وظل طوال الليل صامد

يا أسود العينين يا حبي اليك يدي وسائد

يا أسود العين ان الليل شاهد

ماذا اقول وانت بين ايدي الوحوش ، الليل ، صامد

يا اسود العينين يا حبي المخضب بالدماء

يا عندليبي ان امك في المساء

في كل يوم تفتح الشباك ، لكن المساء

يمضي ولا تاتي فتجهش بالكباء(10)

ويترآى في هذا المشهد تصاعد الحدث الدرامي ويبلغ منتهاه في حركية الصور المؤلمة وتكرار النداء لشخص يرزح تحت سياط العذاب والالم ويجابهها بصبر الابطال وان كان لا يرى الا السواد وفقدان الامل ان تكرار عبارة اسود العينين التي اصبحت كناية عن ظلامية المكان وضياع الانسان وسط القوة الشريرة المستغلة دلالة على الحاجة الملحة للتغير وهذا بدوره بحاجة الى الصمود وقد شكلت عبارة اسود العينين بؤرة تفرعت منها انساقاً دلالية عديدة و صوراً تشكل منها حدثاً ادرامياً متصاعداً يستدعي التعاطف وشدة التأثير لاسيما على الذات الشاعرة التي اصبحت جزأً من الموقف الدرامي واصبحت راوياً كلي العلم يكشف عن معاناة ذالك الرجل السجين وصموده وصبره من اجل المبادئ التي امن بها وضحى من اجلها بالكثير ولا يقف التعاطف عند بطل القصيدة (أسود العينين) وانما يمتد الى ما يثير العاطفة لدى المتلقي من خلال التصوير الانفعالي للأم التي لا تمتلك سوى البكاء والانتظار ويعد هذا التعاطف ايجابياً لان الذات الشاعرة كانت في موقف ايجابي مع بطل القصيدة وشاركته معاناته وعذابه

(ب) التعاطف الاسري

تعد الاسرة الدائرة الاقرب للذات الانسانية ومنذ نشوء الخليقة والانسان يسعى جاهدا من اجل تكوين اسرته ، فهي عنصر اساسي من عناصر الديمومة والبقاء وسر من اسرار الطبيعة الحية التي تتميز بالجاذبية المطلقة التي يتفاعل في ظل تأثيرها افراد الاسرة ويتعايشون في اربطة اواصرها وما تفرزه من تجاذب ومحبة وتعاطف وتعاون ، وان الاخلال بهذه الروابط سيؤدي الى تفكك الاسرة وتشتتها ، لذا يعد التعاطف بين افراد الاسرة الواحدة من اقوى الاواصر التي تحافظ على متانة العلاقة وتمنع التشتت وانعكاساته السلبية على الحالات النفسية والمجتمعية للاسرة ويمثل الاب والام القطبان الرئيسيان في بناء المجتمع الاسري وتشكيله واستمرارية الحياة في المجالات المختلفة وينعكس تأثير الابوين بشكل واضح وفعال على افراد الاسرة

كافة لما يحمله من نزعة انسانية وروابط عاطفية ، نشأت منذ بدء الخليقة فلا شيء يوازي عطف الابوين وحنانهم ورحمتهم اللامتناهية

واذا عطفت فأنت امُ او ابٌ اولئك في الدنيا هما الرحماءُ

وهذا ما يجعل التعاطف الاسري يصل الى مدياته الاوسع ويتفاعل مع الجزيئات الظاهرة والخفية بشكل افضل قوة واهتماماً ، ويصل احيانا الى درجة الانصهار الذي يجعل الاسرة كائنا واحدا يتأثر ويؤثر بشكل مشترك فما يصيب احد افراد الاسرة يصيب الجميع وما يفرح احدهم يفرح الجميع ، وهذا ما يولد تعاطفا مشتركا صعب الانفصام الا في حالات الاواصر الاسرية المفككة وتلك قضية اخرى تدخل ضمن التعاطف السلبي وتخرج عن اطار التعاطف الايجابي . والمتطلع على شعر البياتي يرى بوضوح انه من جاب الافاق وتنقل في دول عديدة غالبا ما كان بعيدا عن اسرته ولكن لم تغب عن مخيلته في شتى الظروف والاحوال ويصل به التعاطف معها الى حد البكاء ونجد في قصيدته اغنية جديدة الى ولدي على شدة التعاطف الايجابي الذي يمطر اشواقا عليه

كناري الصغير

وجهك والسماء

تمطر في منفاي ، في مدينتي

يبرق في عيون أمك ، في واحات ليل عذابي الدامس الاخير

يبرق في دموع امك في أبيات قصائدي الخضراء ، في صورة العذراء .(11)

ويظهر جليا في هذه الدفقة الشعرية تشظي الذات وتداخلها مع الاسرة وخلق حالة من التوتر والانفعال العاطفي الذي يصل بالذات الشاعرة الى درجة من التراكم والالم النفسي ورؤية صور اسرته والانصهار بها فتنزل الاشواق عليه مطرا ولايرى في ظل سواد الليل الممطر الا صورة ولده التي تبرق في عيون امه اذ تتمثل امام عينيه فيرى دموعها التي تنقله الى صورة وراثية يتداخل في الموروث الديني والاجتماعي ويتمثل في صورة مريم العذراء وكما كان المسيح عليه السلام بلا اب هكذا اصبح ولده الصغير يبحث عن ابيه الذي غيبته المنافي وانكسارات الاغتراب وبهذا التصوير وعمقه الدلالي يكون للدلالة تأثير في ذاكرة المتلقي واقوى تحفيزا للتعاطف واستمرارية الاستجابة والاحساس بالتأثير ولاسيما للمتلقي الذي يمر بمثل تلك الظروف الذي مر بها المنتج للنص او تشابهت بعض صور حياتهم في دروب الحياة

التعاطف مع المجتمع

المجتمع هو مجموعة من الناس يعيشون في مكان معين في ضل قوانين متعارفة وتربطهم شبكة من العلاقات التاريخة والثقافية والاجتماعية لا يخفى على احد دور المجتمع في حياة الفرد وتوجهاته وتطلعاته المختلفة ، الفرد جزء من مؤسسه اوسع واكبر تتأثر به وتثائر بها وسواء قامت العلاقة بين الفرد والمجتمع على التظافر والتعضيد او التنافر والتصادم، فانها لا تخرد عن ايطار البنية الاجتماعية كونها المنشأ الذي يطبع بصماته على حياة الافراد فيجعلهم يتصفون بصافات التشابه الفكري والعادات والتقاليد التي قد تختلف بين الامم والمجتمعات وتجعل لكل مجتمع صفات تميزها عن غيرها وتتحكم في حياة افراده وتوجهاتهم الحياتية ومصالحم الشخصية ومن هذا المنطلق تتجسد علاقة الفن بالمجتمع لكي يصبح نظرية ثابتة لها روادها ومؤيديها وهي نظرية الفن المجتمع، (12)" واكد الماركسيون على الدور الاجتماعي للفن الذي هو خالق الفرح ودعامة الفكر وهو وسيلة من رجل يعي المجتمع ومراة يرى فيها المجتمع على نحو افضل الحركات التي تنتابه ويبصر فيها صعود الافكار الجديدة "(13) ولما كان البياتي من ذوي التوجهات الماركسية ، فلقد اسهم هذا التوجه الفكري الى النظر الى المجتمع بفكر تفاعلي يسعى الى ان يكون مراة عاكسة لكل ما يدور فيه تناقضات او اخفاقات والسعي الى تحقيق العدالة الاجتماعية بوصفها الطريق الموصل الى عالم التقدم والاستقرار ورفاهية الشعوب وهذا ما عرف عن موقف الشاعر على طول مساريه الشعري الطويل فهو يقول مثلا

اني وهبتك كل ما في عالم الارضي

من حبي العميم (14)

ويرى البياتي ان قيمة الشعر تكمن في خدمته للمجتمع وتفاعليه معه وهو بذلك خير من يمثل نظرية الفن للمجتمع وينتقد الشعر التكسبي الذي لا يعبر عن ارادة المجتمع

الشعر أعذبه الكذوب

قالوا وما صدقوا لانهوم تنابلة وعور

كانو حذاء للسلاطين الغزاة بلا قلوب

ان شعري للشعوب (15)

والمطلع على شعر البياتي يرى إتساع الأنساق الاجتماعية ويرى فيه التصوير البارع والعميق للمجتمع في تناقضاته والآمه وحركته وسكونه كما ويظهر جليا التعاطف مع الطبقة المسحوقة او المضطهدة والثورة على حالة الظلم واللاعدالة التي ينتصر فيها القوي على الضعيف والظالم على المظلوم والقتلة على الابرياء المضطهدين وهذا ما يجعل العلو في حدة التعاطف الى درجة التشائم احيانا والتفائل احيانا يقول في قصيدة الضفادع

ضفادع كانت تسمي نفسها رجال

رأيتهم في مدن العالم في شوارع الضباب

في السوق في المقهى بلا ضمير

يزيفون الغد والاسلام والمصير

رأيتهم في عرق الجياع

ومن دم الكادح يبنون لهم قلاع

اعلى من السحاب

ختى اذا ما طلع الفجر رأيت هذه الضفادع العمياء

على كراسي الحكم في رياء تغازل البياع (16) وهنا يقوم التعاطف على التقابل بين السلبي والايجابي فموقف الشاعر يبرز من خلال التعاطف السلبي مع تجار الضمائر والزيف وسرقة اتعاب الجياع والكادحين واضطهادهم ويرسم اولائك التجار بصورة الضفادع فما تقفز الضفادع يقفز هؤلاء على الاكتاف بقفزات تشبه قفزات الضفادع الباحثة عن الطعام فلا تبعث منظرا جميلا يسر الناظرين ولما كانت الضفادع حيوانات برمائية فأن بذلك تعيش في الماء وعلى اليابسة وكذلك الرجال المتلونون الذين يتعايشون في اي بيئة وكيفما كانت ويسايرون الحكام وصولا الى غاياتهم واهدافهم ولا يأخذون بالحسبان الاضرار التي يخفوها على مجتمعاتهم وكرامتهم التي لطالما استعملوها وسيلة توصلهم الى غاياتهم على وفق المبدأ الميكافيلي الغاية تبرر الوسيلة وبالمقابل يظهر التعاطف الايجابي مع الفقراء الجياع والكادحين ومعاناتهم التي تستدعي التعاطف معهم ومساندتهم لكي لا يكونو ضحايا للضفادع من الرجال لانهم المضحون بذواتهم وبجهدهم من اجل البناء والحياة الافضل وهم الذين ارتضوا بالجوع ولم يتنازلوا عن مبادئهم على العكس من المتلونين من الرجال وبذلك فأن التعاطف السلبي يولد كرها في الذات الانسانية

وتباعدا عن الشر والاشرار اما التعاطف الايجابي فيولد حبا وقربا لدى المتلقي من الفئة التي يتعاطف معها الشاعر تعاطفا ايجابيا وهكذا يكون التعاطف طريقا يوصل الى زراعة الخير والبناء الافضل للانسان .

الخاتمة ونتائج البحث

لقد تبين للباحث اثناء جولته في فضاء العاطفة الانسانية ان التعاطف من الاركان الاساسية التي تحفز منتج النص نحو الابداع وذلك بوصفه مبعثا للانفعال والتوتر والانتقال من اللحظات السكونية الى دينامية تحرك الوجدان فينطلق اللسان وتتكاثف الصور الحقيقية والمتخيلة الموروثه والمحدثة في الذات الشاعرة التي تحاول ان تصوغها تخفيفا وتنفيسا عما يجوش في الذاكرة والعقل والصدور وتخضع تلك الصياغة لدرجة التعاطف على موهبة الشاعر في تمثل الحدث والتعاطف معه ومدى قدرته في التعبير عنه واحداث الجذب والتأثير ولعل من ابرز النتائج الذي توصل اليها البحث هي الاتي :-

1) التعاطف حالة انسانية لا يكاد يخلو منها اي نص من النصوص الادبية المختلفة لكونه جزء من العاطفة والعاطفة احد المحاور الاساسية في البناء الفني للنصوص وهذا ما يجعل التعاطف يدخل اساسيا في ذلك البناء
2) تتفاوت درجة التعاطف بين الاغراض الشعرية فهناك التعاطف الاني قصير الامد كما في بعض قصائد المديح والتعاطف طويل الامد كما في الكثير من قصاعد الرثاء والغزل والغربة والحنين
3) تخضع قوة التعاطف تناسبا طرديا مع التأثير في المتلقين وتحريك مشاعرهم واحاسيسهم فكلما كان التأثير اقوى كانت التعاطف اكثر نجاحا وابداعا
4) يسهم التعاطف مساهمة فعالة في سمو الادب ورفعته وذلك من خلال اثارة الاحاسيس السامية التي تتأثر بحالات الافراد والمجتمعات وتتفاعل معها وتشاركها الامها مما يؤدي الى رقة المشاعر والحث على بناء حياة افضل واكثر سعادة واستقرارا
5) يكشف التعاطف الذاتي المدى الذي يحمله منتج النص من احاسيس ومشاعر انسانية تجعله يتأثر بالمحيط وينظر اليه نظرة فاحصة يتمكن من خلالها التعبير عن وجهة نظره فضلا عن الصور الشعرية التي تثير فينا الانفعال والمشاركة الوجدانية مع النص
6) يظهر من خلال التعاطف مع الاخر اكتمال الوجود الانساني وما يحتويه من تقارب او تباعد تعاون او صراع وتتكشف معالم الخير والشر بوضوح وبلا

شك فان التعاطف الانساني يحث على فعل الخير كما ينهى عن الشر وتبعاته وبذلك يبرز الوجه السامي للادب

7) يبين التعاطف مع المجتمع ان الادب لا يقتصر على اثارة الشعور بالجمال والمتعة بقراءة نتاج الاديب وانا يتعدى ذلك الى خدمة المجتمع والتفاعل معه والكشف عن الامه والتعاطف مع صاحبها والاسهام في حل المعظلات التي تقف في طريق تقدم المجتمع واستقراره وصولا الى حياة اجمل وافضل

الهوامش

1) ينظر لسان العرب مادة عطف
2) الكامل في النقد الادبي ، كمال ابو مصلح ط3 بيروت 1967 ص 74
3) النقد الادبي ، احمد امين بيروت ط4 1967 ص 49
4) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، عبد السميع الحميري بيروت ط1 1999 ص7
5) الاعمال الشعرية الكاملة ،عبد الوهاب البياتي ، بيروت ط1 ، 1972 ، ج1 ، ص 458
6) دير الملاك ، محسن عطيمش ، بغداد ، ط1 1982 ص 104
7) الاعمال الشعرية الكاملة ، ص15-16
8) سياسة الشعر ، ادونيس ، دار الاداب بيروت ، ط1 1985 ص 71
9) الرؤيا في شعر البياتي ، محي الدين صبحي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ط1 ، 1987 ص36
10) الاعمال الشعرية الكاملة ص458
11) المصدر نفسه ج1 ، ص273
12) ينظرالنقد الادبي احمد امين ، ص51
13) النقد الفني ، جيروم ستولينتز ترجمة فؤاد زكريا ، الاسكندرية ط1 2007 ص72
14) الاعمال الشعرية الكاملة ج1 ، ص355
15) المصدر نفسه ج1 ، ص359
16) المصدر نفسه ج2 ، ص 38

المصادروالمراجع

1. الاعمال الشعرية الكاملة . عبدالوهاب البياتي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت . ط1 1972
2. دير الملاك . محسن اطيمش . دار الرشيد بغداد . ط1 1982
3. الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية . عبد الواسع الحميري .المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت . 1972
4. الرؤيا في الشعر البياتي . محي الدين صبحي . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ط1 1987
5. سياسة الشعر . ادونيس . دار الاداب . بيروت . ط1 1985
6. الكامل في النقد الادبي . كمال ابو مصلح . المكتبة الحديثة للطباعة والنشر بيروت . ط3 1983
7. لسان العرب . ابن منظور . دار صادر . بيروت . ط9 2017
8. النقد الادبي . احمد امين . دار الكتاب العربي .بيروت . ط4 1967
9. النقد الفني جيروم ستولينتز . ترجمة . فؤاد زكريا . الاسكندرية . ط1 2007

"Empathy in the Poetry of Abdul Wahab Al Bayati"

Professor Dr. Badran Abdel Hussein Al-Bayati

Abstract

The concept of empathy does not stray from the realm of emotion, as it consists of affective reactions that have psychological and social reflections, as well as functional and influential contributions to the audience. Since emotion is one of the pillars of the artistic structure of a literary work, empathy occupies a significant portion of this pillar through its relationship with understanding others, comprehending their psychological state and social circumstances, and the

compassion it may evoke. This compassion can lead the poetic self to embody and merge with it. Moreover, empathy plays an active role in purifying the self through its compassion and sympathy for others. The forms of empathy may be individual or collective, depending on the nature of the situations that call for empathy. Poet Abdul Wahab Al-Bayati, being one of the poets committed to national, popular, and humanitarian causes, was able to shape empathy into images that reflected the human reality on both individual and collective levels in an artistic poetic formulation. This clearly shows the extent of the poetic self's empathy with various human issues, reinforcing the role of literature in building society, expressing its aspirations and problems, and exploring detailed matters that clarify the directions, functions, and forms of empathy at all levels of artistic structure. With God's help, success is achieved.